



من المؤسف أنَّ معنى الزواج عندنا لم يتخذ مفهومه الحقيقي بصفة عامة عند المثقفات وبصفة أعم عند غير المثقفات. المرأة تنظر إلى الزوج وكأنه صفة رابحة تذلل لها الصعب وتحلها ألمواناً من المرفاه والإمكانات بدون أن تقدم أي مقابل. وكذلك الزوج أو العريس في نظر الفتاة وأهلها هو ذلك الشماعة التي يجب أن تحرق نفسها لتضيء حياة العروس وأهلها وتملأ حياتها بالخير والبركات. ولكن ما هو المقابل الذي ينبغي أن تقدمه الزوجة حتى يحق لها أن تطالب بمالي زوجها وأيماهه ومستقبليه؟ المرأة المعاشرة فقط تعرف هذا بغض النظر عن كونها مثقفة تحمل المشهادات العليا أو أمية لا تعرف حرفًا من لغة القلم. المرأة الناضجة المعاشرة التي تتجمّل بالإخلاص والمعدل والمضمير الحي تعرف الم jóاب ... وهو جواب واضح وواقعي ... وهو أن تقابل إخلاص زوجها بالمثل، وأيضاً عده معها وتقانيه في إسعادها ... يجب أن تقابله بالمثل وذلك بمنحه السعادة والراحة وتخفيف أعباء الحياة عن كاهله، ولو علمتنا أن المرأة الأجنبية تجعل هدفها من الزواج هو إسعاد زوجها. ويزيد في سعادتها تكرييس وقتها لخدمة زوجها والعمل على راحتة لتعجبنا من هذا ولما صدقنا لأنّنا التي تبدأ بطلب المهر الكبير واشتراض المهدايا والمتکاليف الباهظة الثمن للعرس وتنتهي ببعض أمه وأبيه ومضايقتهما، والتفریق بينهما وبين ابنهما الذي هو زوجها. لو دققت الزوجة المنظر إلى هذا العمل لرأيت فيه لما شك جريمة بشعة. إن مجتمعنا في كل بلداننا العربية ممتنئ بأمثال هذه المأسى وأن قصة الحمامة والكنة هي أم المقصص ومشكلة المشاكل. فهما دائمًا في عراك ومشاحنات وعداء مستحكم يحيل بيت الزوجية إلى جحيم، وذرى الزوج بينهما حائرًا تعيسًا لا يدرى أينتصر لزوجته التي هي كل ماضيه المفعم بالتضحيات لأجله، وتتضى حياة الزوج بهذا الشكل مثقلة بالمتاعب والآلام في أغلب الأحيان، وتظل الزوجة عمياً عن هذه الحقيقة غير مشفقة على زوجها ولما على أمه، غير مقدرة تضحيات والدة زوجها التي ربته صغيراً إلى حين بلغ الشباب ووجدهته العروس أمامها شاباً مكملاً في كل المميزات التي أعجبتها. ولو علمت الزوجة أن كرهها لوالدة الزوج أو والده أو بقية أهله يبعد قلبها عنها إلى مسافة لا تستطيع بعدها استعاده ذلك القلب. ولو علمت أيضًا أن العكس يأتي بالنتيجة العكسية بدون شك، تأقلعت عن كل ما تفعله ضد أهل الزوج ولأحبت أهل زوجها كما تحب أهلها وأخرين.

وعلى هذا الأساس ذرى المرأة في المشعوب المراقبة المتخضره تومن بحقيقة كبيرة وتعمل بها بإخلاص وهي محبة أهل زوجها جميعاً واحترامهم وخدمتهم قدر المستطاع وربما المتضحية من أجلهم إذا اقتضى الأمر ذلك. لأنها تعرف تأثير هذا على شعور زوجها الذي سينعكس في نفسه حباً لها وتضحيةً من أجلها وكذلك هي تفعل هذا الشيء لأنها عاقلة واعية فهمت الحياة وأدركت أن أبيوي زوجها يجب أن لا يجدد فضالهما عليه وأنهما بالنسبة له كأبويها بالنسبة لها وكما ستكون هي بالنسبة لأولادها عندما يشبون ويتزوجون. فهل من الصعب علينا فهم هذه الحقيقة إلى هذا الحد؟ وهل من الصعب أن تدرك أن عرفاً الجميل هو أجمل ما في الحياة وأنه يتمثل في الموقف للأبؤين سواء من الآباء أو زوجة الآباء؟ وهل من الصعب أن تعرف نساً أن أقرب طريق إلى قلب الزوج هو محبتها لأهله؟